الميزان يوم القيامة

الحمد لله الذي وضع الميزان، وجعل الوزن يوم القيامة هو الحق والعدل، الحمد لله الأول والآخر، الحمد لله الباطن والظاهر الحمد لله الذي أرسل لنا رسولنا ونبينا محمدًا –صلى الله عليه وسلم– سراجًا منيرًا، وهاديًا وبشيرًا، الحمد لله ما حيينا وإذا متنا، وإذا من القبور بُعثنا، وإذا إلى موعد الحساب سُقْنا، وإذا عند الميزان وُزِنَّا.

ثم أما بعد: عباد الله قد تكاثرت نصوص الشريعة في إثبات الميزان:

قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾.

وقال سبحانه: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ. وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾.

وهو ميزان محسوس توزن فيه أعمال العباد؛ فالميزان عظيم، وأمره ليس بالأمر اليسير، ولن ينفعنا في تلك الساعة الحرجة إلا أعمالنا الصالحة التي عملناها في هذه الحياة الدنيا، فالعباد يوزنون في الميزان فيثقلون فيه أو يخفون بقدر

إيمانهم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة، لا يزن عند الله جناح بعوضة".

وقال: اقرؤوا: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾.

فالوزن بقدر الإيمان والعمل الصالح، لا بقدر الأجسام والضخامة، والشهادات الدنيوية.

والناس إذا كان يوم القيامة انقسموا إلى ثلاثة أقسام:

قسم: ترجح حسناتهم على سيئاتهم، فهؤلاء لا يعذبون ويدخلون الجنة.

وقسم آخر: ترجح سيئاتهم على حسناتهم، فهؤلاء مستحقون للعذاب بقدر سيئاتهم ثم ينجون إلى الجنة.

وقسم ثالث: سيئاتهم وحسناتهم سواء، فهؤلاء هم أهل الأعراف، ثم إلى الجنة.

فاتقوا الله –عباد الله–، وثَقِّلوا بالصالحات كفة الحسنات، عسى إن نحن فعلنا ذلك أن ترجح حسناتنا على سيئاتنا.

عباد الله: إنّ لوضع الميزان يوم القيامة لأهوال: ترجف لها القلوب، وتنفطر منها النّفوس، فهي المرحلة التي سيتّخذ فيها القرار إمّا إلى الجنّة، وإمّا إلى النّار؟ إنّه لا ينجو من خطر الميزان إلاّ من حاسب نفسه في الدنيا، ووزن

أعماله فيها بميزان الشّرع وتتبّع أقواله وأفعاله وخطراته ولحظاته. كما قال عمر رضي الله عنه: "حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا". **والحكمةُ في وزنِ الأعمالِ،** هو ظُهُورُ كمالِ عدلِ الله، وإظهارُ مقاديرِ الأعمالِ والحسناتِ والسيئاتِ؛ ليكونَ الجزاءُ بحسبِ ذلكَ، قال تعالى ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُم فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾.

ويتعلقُ بالميزانِ أربعة أمور:

الأمرُ الأول: أنهُ ليسَ كُلُّ حَسَنَةٍ يأتي بها العبدُ توضَعُ في الميزان، وإنما هي الحسنةُ المقبولةُ، فيجبُ على المؤمنِ أن يَعْلَمَ ذلكَ، كي لا يَغْتَرَّ وَيُعْجَبَ بِعَمَلِه، فيقولُ أنا صليتُ كذاَ وكذاَ، وصُمْتُ كذاَ وكذا، وحَجَجْتُ وتصدَّقْتُ وقرأتُ القرآنَ؛ فإنَّ العبدَ قد يَعْمَلُ العملَ الكثيرَ، ولا يُقبَلُ مِنهُ إلا القليلُ.

فالحَسَنَةُ المقبولةُ –يا عبادَ اللهِ– هي التي يتَحَقَّقُ فيها شرطانِ: وهما الإخلاصُ للهِ، ومُوافقةُ العملِ لهَدْيِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، ولا بدَّ أنْ يكونَ فاعِلُ هذه الحسنةِ مؤمناً، لأنَّ الإسلامَ شرطٌ أساسٌ في كُلِّ عَمَل.

الأمرُ الثاني: حُقُوقُ العِبادِ قَدْ تكونُ سبباً لِذهابِ الحسناتِ التي جَمَعَها العبدُ في الدنيا، كما قالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم،: "إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا،

وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ، فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ".

الأمر الثالث: أن أثقلُ حَسَنَةٍ في ميزانِ العبدِ هي شهادَةُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ، وأنَّ محمداً رسولُ اللهِ، وهِيَ مِفتاحُ الحسناتِ الأُخرَى، فإذا وُجِدَتْ في الميزانِ، سُمِحَ للحسناتِ الأخرى، وإذا لم تُوجَدْ، رُدَّتْ بقيةُ الحسناتِ حتى لو بلَغَتْ أمثالَ الجبالِ، وإذا كَمُلَتْ هذه الحَسَنَةُ في القلبِ، فَقَد تَطيشُ بجميعِ ما يقابلُها من سِجِلاَّتِ السيئاتِ التي دونَ الشركِ .قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر له تسعة وتسعين سجلاً، كل سجل مثل مد البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئًا؟! أظلمك كتبتي الحافظون؟! فيقول: لا يا رب، فيقول: ألك عذر؟! فيقول: لا يا رب، فيقول الله تعالى: بلى، إن لك عندنا حسنة، فإنه لا ظلم اليوم، فتخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، فيقول: أحضر وزنك، فيقول: يا رب: ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟! فيقول: فإنك لا تظلم، فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة، ولا يثقل مع اسم الله شيء".

الأمر الرابع: من الأعمال التي يثقل بها ميزان العبد يوم القيامة حسن الخلق

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من شيء أثقل في ميزان العبد يوم القيامة من حسن الخلق».

وحسن الخلق أمرٌ هيِّن لا مشقة فيه؛ والناس بطبعها تحب مكارم الأخلاق وتحب من يتخلق بها، فبذل الندى وكف الأذى يجمع خِلالَ الخُلُقِ الحَسَنِ كلِّها، ولما سأل رجلٌ قتادةَ عن حسن الخلق أجابه قائلًا: الخلق شيء هين؛ وجه طليق ولسان لين، فما أكثر المفرطين في هذا الميدان وهو غنيمة باردة سهلة ميسرة على من هدى الله قلبَه، وأراد الخيرَ به.

يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «وتبسمك في وجه أخيك صدقة».

وقال: (ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق، وإن الله يبغض الفاحش البذيء).

فما أحوج الأمة إلى حسن الخلق! فأين أخلاق الإسلام؟!! إن أرفف المكتبات في بيوتنا وفى مدارسنا وجامعاتنا تئن بأطنان المجلدات، التي سطر فيها المنهج النظري المشرق المنير، ولكن لو فتشت في واقع الأمة، ونظرت نظرة سريعة إلى أحوال الناس؛ لرأيت بوناً شاسعاً بين هذا المنهج النظري المنير وبين الواقع المؤلم المرير. فأين الصدق؟! أين الإخلاص؟! أين الأمانة؟! أين الرفق؟! أين الحلم؟! أين العفو؟! أين الصلة؟! أين البر؟! أين الرجولة؟! أين الشهامة؟! أين الكرامة؟! أين الحياء؟! أين أخلاق محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم؟!

لقد نجح المصطفى صلى الله عليه وسلم، في أن يقيم للإسلام دولة من فتات متناثر وسط صحراء تموج بالكفر موجاً، فإذا دولة الإسلام بناء شامخ لا يطاوله بناء، نجح المصطفى في ذلك يوم أن طبع عشرات الآلاف من النسخ من المنهج التربوي الإسلامي العظيم، ولكنه لم يطبعها بالحبر على صحائف الأوراق، وإنما طبعها على صحائف القلوب بمداد من النور، فحوّل أصحابُه المنهجَ الأخلاقي الإسلامي إلى واقع عملي، يتألق سمواً وروعةً وجلالاً في دنيا البشر، فذهلت البشرية بهذا المنهج.

لكنني أقول: إن أعظم حجر يقف الآن في سبيل الإسلام في الشرق والغرب هو أخلاق المسلمين، فإن الرجل في الشرق والغرب ينظر إلى المسلمين هناك، فيرى المسلم يزني، ويبيع الخنزير، ويشرب الخمر، ولا يحافظ على الصلوات ويكذب ويرتشي فيصده عن الإسلام، فالعقبة الكئود في طريق الزحف الإسلامي في الشرق والغرب هي أخلاقنا إلا من رحم ربنا.

قال صلى الله عليه وسلم: (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن العبد المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم).

وأصحاب الأخلاق العالية من أقرب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، يوم القيامة، قال صلى الله عليه وسلم: (إن من أحبكم إلي، وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة، أحاسنكم أخلاقاً).

اللهم ارزقنا الأخلاق الكريمة يا رب العالمين! ومما ورد ذكره مما يُثقل الميزان أيضًا: الإنفاق في الجهاد في سبيل الله، قال صلى الله عليه وسلم: "من احتبس فرسًا في سبيل الله، إيمانًا بالله، وتصديقًا بوعده، كان شبعه وريه، وروثه، وبوله، حسنات في ميزانه يوم القيامة".

ومنها الذكر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كلمتان خفيفتان على اللسان؛ ثقيلتان في الميزان؛ حبيبتان إلى الرحمن؛ سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم».

وهذا الذكر من خير ما تقضى به الأوقات، وتختم به الأعمار ومن الإعمال التي تَثْقُلُ بميزان العبد، ما رواه أبو مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الطُهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان ...»

كلمة يسيرة (الحمد لله)؛ وهي تملأ الميزان. قال بكر بن عبد الله المزني وهو من كبار فقهاء الإسلام: "خرجت يومًا إلى السوق فإذا حمّال عليه حِملُه وهو يقول: الحمد لله، أستغفر الله؛ ويكررها. قال بكر: فانتظرته حتى وضع

حِمْلَه، فقلت له: يا هذا أما تُحسنُ غير ما تقول؟ قال: بلى أُحْسنُ خيرًا كثيرًا؛ وأقرأ كتاب الله؛ غير أن العبد بين نعمة وذنب؛ فأحمد الله على نعمه؛ واستغفره لذنوبي. فقال بكر: الحَمّال أفقه من بكر".

اللهم ارزقنا الفقه في الدين بما يثقل موازيننا. أقول ما سمعتم وأستغفر الله.

**** ****

الخطبة الثانية

إخوة الإسلام: إنَّ ثِقَلَ ميزان العبد إنما يكون بالأعمال الصالحة؛ وتقوى الله، والعبرة بصلاح القلب؛ واستقامة الجوارح؛ والعمل بطاعة الله؛ والتماس أسباب رضاه، أما الصور والأشكال والزينة والجمال والمنصب والمال فليس لها عند الله قيمة ولا جزاء. هذا ابن مسعود رضي الله عنه، لما صعد يومًا على شجرة ضحك بعض الصحابة لدقة ساقيه؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده إنها لأثقل في الميزان من جبل أحد».

إخوة الإيمان، يقول ابن مسعود رضي الله عنه: "يحاسب الناس يوم القيامة، فمن كانت حسناته أكثر من سيئاته بواحدة دخل الجنة، ومن كانت سيئاته أكثر من حسناته بواحدة دخل النار، ثم قرأ قول الله: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ. وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم﴾.

اللهم ثقل موازيننا يوم نلقاك، اللهم ثقل موازيننا يوم نلقاك، اللهم ثقل موازيننا

يوم نلقاك. اللهم استرنا ولا تفضحنا، وأكرمنا ولا تهنا، وكن لنا ولا تكن علينا. اللهم كن لنا ولا تكن علينا، اللهم استرنا فوق الأرض وتحت الأرض ويوم العرض، اللهم لا تدع لأحد منا ذنباً إلا غفرته، ولا مريضاً إلا شفيته، ولا ديناً إلا قضيته، ولا ميتاً إلا رحمته. اللهم ثقِّل موازيننا بالأعمال الصالحة والحسنات الراجحة، اللهم تقبل منا صالح أعمالنا، وثقّل لنا موازيننا، ولا تضرب بها وجوهنا، يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم. اللهم إنا نسألك أن تشرح صدورنا، وتنوّر قلوبنا، وتثقل يوم الموازين موازيننا. اللهم يا سامع الصوت، ويا سابق الفوت، ويا كاسي العظام لحمًا بعد الموت: يمِّن كتابنا، ويسِّر حسابنا، وثقِّل موازيننا، وحقِّق إيماننا، وثبِّت على الصراط أقدامنا، وأقرّ برؤيتك يوم القيامة عيوننا، واجعل خير أعمالنا آخرها، وخير أيامنا يوم لقاك، إنك على ذلك قدير، وبالإجابة جدير. اللهم ثبتنا على دينك، وزدنا من هداك، وارزقنا الاستقامة على طاعتك، والتمسك بسنة نبيك محمد حتى نلقاك مسلمين مؤمنين محسنين غير مبتدعين ولا مبدلين ولا مرتدين. اللهم أصلح أئمتنا .... اللهم ارفع عنا الغلاء ....

اللهم بيّض وجوهنا، وثقل موازيننا، وزحزحنا عن النار، وأدخلنا الجنة، برحمتك يا أرحم الراحمين. ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً....﴾.